د. شيرين لبيب خورشيد

التربية
بين الأصالة والمعاصرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

التَّربيةُ بينَ الأصالةِ والمعاصرَةِ.

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والتَّسليمُ على أشرفِ المرّبين محمَّدٍ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ؛ **أمَّا بعدُ:**

١ – معنى التَّربيةِ لغةً واصطلاحًا:

يدورُ مفهومُ التَّربيةِ حولَ معاني تنشئةِ الإنسانِ منْ ولادتِه حتَّى وفاتِه في ضوءِ المنهجِ الرَّبّانيّ الذي يضبطُ حياتَه وفقَ الغايةِ منْ وجودِه في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، ألا وهي الخضوعُ التَّامُّ لمنهجِ اللهِ عزَّ وجلَّ والتَّذلّلِ له بافعلْ ولا تفعلْ حينَ عرضَ عزَّ وجلَّ الأمانةَ على السَّماواتِ والأرضَ والجبالَ فأبتْ أنْ تحملَها وحملَها الإنسانُ، قالَ تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} أبتْ حملَ الأمانةِ لثقلِها على النَّفسِ ومخالفتِها لهواها... وحملَها الإنسانُ ورضيَ دخولَ مرحلةِ الامتحانِ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا والسَّيرَ على منهجِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومنْ ثمَّ تكونُ هذه التَّنشئةُ إعدادًا للإنسانِ الصَّالحِ وتزكيةً للنَّفسِ الإنسانيَّةِ. قالَ تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}[الشمس: ٧ – ١٠].(١)

(١) منى بنت عبدالله حسن بن داود: جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، بيروت، دار البشائر، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٧.

تعريفُ التَّربيةِ في القرآنِ الكريمِ:

وردتْ مادَّةُ (التَّربيةِ) في القرآنِ الكريمِ بمعنيين:

أ – **التَّعهُّدُ بالتَّنميةِ والتَّأديبِ**، في قولِه تعالى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} [الشعراء: ١٨] وبهذا المعنى والهدفِ وردَ لفظُ: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ١].

ب – **النَّماءُ والزِّيادةُ**، في قولِه تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: ٥][(١)].

٢ – **التَّربيةُ لغةً**: قالتِ العربُ: ربا الشيءُ ربْوًا وربُوًّا، قالَ اللهُ تعالى عنِ الأرضِ: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [الحج: ٥]، أي: زادتْ وانتفختْ بسببِ ما يتداخلُها منَ الماءِ والنَّباتِ، ويقولون: ربا المالُ: زادَ، ويقولون: ربَّى فلانٌ فلانًا: غذّاه ونشَّأه[(٢)].

يظهرُ لنا أنَّ التربيةَ لها معنيان:

أ – معنى النُّموِ والزِّيادةِ.

ب – التَّدرُّجُ.

٣ – التَّربيةُ اصطلاحًا:

●هي: تنشئةُ الإنسانِ شيئًا فشيئًا في جميعِ جوانبِه، ابتغاءَ سعادةِ الدَّارين، في ضوءِ المنهجِ الإسلاميّ.

---

(١) عابد الهاشمي؛ طرائق تدريس مهارات التربية الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٩.

(٢) محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١، مادة رَبَى.

●هي: (بناءُ شخصيَّةِ المتعلّمِ بناءًا متكاملًا متوازنًا معَ ما تتضمَّنُه الحياةُ الكريمةُ من قيمٍ بنّاءةٍ، تجمعُ بينَ الأصالةِ والمعاصرةِ، وتتكيّفُ لكلِّ تطوّرٍ بنَّاءٍ، بعيدًا عنِ الهوى والظَّنِّ والتَّقليدِ الأعمى، متجاوبًا معَ الفطرةِ، مثمرًا الاستقامةَ في القولِ والسُّلوكِ، قالَ تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} [هود: ١١٢][1].

مفهومُ التَّربيةِ:

انحصرَ مفهومُ التَّربيةِ في المعاجمِ اللغويّةِ في ثلاثِ دلالاتٍ وهي: النُّموُّ، والإصلاحُ، والسّياسةُ، وقدْ استنبطَ عبدُ الرّحمنِ البانيّ من هذهِ الأصولِ اللُّغويَّةِ، أنَّ التَّربيةَ تتكوَّنُ منْ عناصرَ:

أوَّلُها: المحافظةُ على فطرةِ النّاشيءِ ورعايتِه.

ثانيها: تنميةُ مواهبِه واستعداداتِه كلِّها...

ثالثها: توجيهُ هذهِ الفطرةِ وهذهِ المواهبِ كلِّها نحوَ صلاحِها وكمالِها اللَّائقِ بها.

رابعها: التَّدرّجُ في هذهِ العملية[2].

أمَّا مفهومُ التَّربيةِ في القرآنِ الكريمِ، فشاملٌ متكاملٌ بجميعِ جوانبِ شخصيَّةِ الإنسانِ، حيثُ تشملُ التَّربيةُ الدِّعايةَ للطِّفلِ الصَّغيرِ، وكفالتِه، وإيوائِه، وولايتِه، وتنشئتِه، وتعليمِه، وتدريسِه بغرضِ النُّموِّ والتَّزكيةِ لجميعِ جوانبِه العقليَّةِ والجسميَّةِ والأخلاقيَّةِ، واللهُ سبحانَه وتعالى هو منْ أرسلَ هذا المنهجَ عبرَ الأنبياءِ والرُّسلِ معلِّمين للبشرِ، وخاتمُهم سيِّدُنا محمَّدٌ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ.

هذه هي معاني التَّربيةِ بجميعِ معانيها، فلنجبِ الآنَ عنِ الأسئلةِ المتعلِّقةِ بالتربيةِ...

---

(١) عابد هاشمي؛ تدريس مهارات التربية الإسلامية، ص (١٠).

(٢) عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، منقول: حسين أحمد قاسم أحمد، التربية الإسلامية في المدارس الرسميّة اللبنانية بين الواقع والمرتجى، رسالة ماجستير، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

بعضُ مواطنِ الاختلاف بينَ التَّربيةِ اليومَ والتربيةِ في الأمسِ:

نجدُ في يومِنا الحاضرِ تقصيرًا كبيرًا وابتعادًا كبيرًا منَ المسلمين عنْ تطبيقِ المنهجِ الذي بيَّنَه اللهُ لنا عنْ طريقِ جميعِ الرّسلِ في جميعِ مجالاتِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والتّربويَّةِ والإعلاميّةِ والبيئيّةِ...

فهلْ عالمِنا المعاصرُ اليومَ يعيشُ في ظلِّ تطبيقِ هذا المنهجِ؟ عالمِنا المعاصرُ اليومَ يعيشُ في أزمةٍ قيميَّةٍ ناتجةٍ عن سيطرةِ القيمِ المادِّيَّةِ على سائرِ القيمِ في الحضارةِ الغربيَّةِ المعاصرةِ، ممّا أدَّى إلى اختلالِ القيمِ ذاتِها، ولقدْ باتَ واضحًا جهدُ تربويّيْ العالمِ الإسلاميّ المعاصرِ ومفكّريهِ ورجالِ الاجتماعِ للخروجِ ممَّا آلتْ إليه الأمَّةُ الإسلاميَّةُ منِ انحرافاتٍ في جميعِ المجالاتِ التَّربويَّةِ والثَّقافيَّةِ والفكريَّةِ والسّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ، حيثُ الأمَّةُ الإسلاميَّةُ تواجهُ تجرُّؤَ الأعداءِ للنَّيلِ منْ مصداقيَّةِ الأصولِ التَّربويَّةِ الإسلاميَّةِ لديها باتِّهاماتٍ صدّقَها الكثيرُ منَ المفكّرين والتَّربويّين حتَّى وصلوا إلى تغييبِ الكثيرِ منَ الضَّوابطِ العقديَّةِ والشَّرعيَّةِ، التي تحكمُ قيمَ التَّربيةِ وأهدافِها ومناهجِها، ومنْ ثمَّ روَّضتْ حركةَ التَّعليمِ للتَّناسبِ معَ إرضاءِ مصالحِ الأعداءِ الخاصَّةِ، دونَ الحرصِ على تحقيقِ أهدافِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ بما يضمنُ نموَّها وبناءَ مستقبلها[1].

(١) عبدالرسول سليمان محمد، دراسة تحليلية لبعض القيم التربوية المتضمنة لسورة لقمان، مجلة التربية، كلية التربية، جامع الزهر، عدد ١٢٥، ج١، أغسطس ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١.

معالمُ ماقدَّمَه الإسلامُ لما يسمَّى بالمنظومةِ التَّربويَّةِ ومدى صلاحه للتَّطبيق في العصر الحاليّ:

إنَّ التَّربيةَ منَ المنظورِ الإسلاميّ تسهمُ في إعدادِ وبناءِ شخصيةِ الفردِ المسلمِ عقائديًّا وفكريًّا وسلوكيًّا ليكونَ الفردُ القدوةَ الحسنةَ في المجتمعِ منْ خلالِ غرسِ القيمِ المختلفةِ المرتبطةِ بمهمَّةِ التَّدريسِ كحسنِ الخلقِ والتَّعاونِ والإخلاصِ في العملِ والاحترامِ وحبِّ الآخرِ وقوَّةِ الإيمانِ وليسَ أدلُّ على ذلكَ منْ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "**إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**"(١)، بالإضافةِ إلى العديدِ منَ المبادئِ التي حثَّ الإسلامُ على زرعِها في كافَّةِ الأفرادِ والجماعاتِ منْ أجلِ تحقيقِ الهدفِ منْ خلقِ الإنسانِ ألا وهو إعمارُ الأرضِ وإصلاحِها(٢).

لا يمكنُ تصوّرَ طريقةَ حياةٍ منْ دونِ منظومةِ قيمٍ بقطعِ النَّظرِ عنْ درجةِ الامتثالِ لمكوّناتِ هذهِ المنظومةِ، كما أنَّ منظومةَ القيمِ على مراتبَ مختلفةٍ وقدْ وصفَ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حدودَها وصفًا دقيقًا في قولِه: "**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إلهَ إلَّا اللهَ، وأدناها إماطةُ الأذى عنِ الطَّريقِ**"(٣)، أيْ: أنَّ أعلاها متعلّقٌ بعلاقتِنا معَ الخالقِ وأدناها ما يتعلّقُ في علاقتِنا بالخلائقِ أمَّا "الحياءُ" فهو شعبةٌ منَ الإيمانِ متعلّقةٌ بنفسِ الإنسانِ.

من هنا نجدُ أنَّ منظومةَ التَّربيةِ لا تفترقُ عنِ الأخلاقِ والتَّوحيدِ، وبينَ القيمِ المتعلّقةِ بالمجتمعِ، فهي جمعٌ بينَ طريقِ الحياةِ ومنظومةِ القيمِ، إذ لا يصحُّ أنْ يكونَ مرجعيّةَ الحياةِ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم: (٢٧٣).

(٢) صهيب الآغا وآخرون، دور المعلمين في تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مدارس وكالة الغوث الدولية في ضوء معايير الجودة الشاملة، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد السابع والثلاثون، ٢٠٠٧م، ص٢٧١ بتصرف.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، حديث رقم: (٣٥).

المستقيمةِ هو الهدى بل هي القيمُ المنبثقةُ منَ القرآنِ والسُّنَّةِ المنضبطةُ بالإسلامِ والمشتقَّةُ منه أصلًا.

وهذه المنظومةُ المنبثقةُ منَ القرآنِ والسُّنَّةِ نرى أنَّ الصَّحابةَ الكرامَ قدْ تربّوا عليها في عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وحازوا على خيرِ ما قالَ فيهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "**خيرُ القرونِ قرني، ثمَّ الذي يلونَهم، ثمَّ الذي يلونَهم**..."(١).

وهذا دليلٌ على أنَّ هذه الثوابتَ التي جاءَ بها الإسلامُ في التَّربيةِ (التَّوحيدُ والأخلاقُ) صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، ومنَ الضّرورةِ المؤكَّدةِ تربيةُ الأطفالِ عليها، للحصولِ على أجيالٍ صالحةٍ خيّرةٍ، ترعى مصالحَها، وتحفظُ حقوقَها، وتؤدّي واجباتِها، وبخاصَّةٍ بعدَ معرفةِ الأزمةِ العالميَّةِ البعيدةِ بعدًا تامًّا عنِ القيمِ التَّربويَّةِ والأخلاقيَّةِ التي يمرُّ بها العالمُ أجمعُ، حيثُ تعتبرُ فلسفةُ التَّربيةِ الغربيَّةِ السَّائدةِ في مؤسَّساتِ الإقليمِ العربيِّ سببًا أدّى إلى صراعٍ تربويٍّ حولَ مدارسِ الفلسفةِ التّربويّةِ الغربيّةِ، ولوحظَ مدى أثرَها ودورَها في العالمِ العربيِّ، وسببَ اختلافِ المدارسِ في تحديدِ المحورِ الذي يجبُ أنْ تقومَ عليه، فقدِ انقسمتْ هذه الفلسفاتُ إلى قسمين؛ المجموعةُ الأولى: دعتْ إلى جعلِ الطِّفلِ محورَ العمليَّةِ التَّربويَّةِ، والمجموعةُ الثَّانيةُ: دعتْ إلى جعلِ الموادِ الدِّراسيَّةِ محورَ العمليَّةِ التَّربويَّةِ، **معَ أنَّ هذهِ الفلسفاتِ جميعًا أهملتِ الجانبَ الأصليَّ للتَّربيةِ الإنسانيَّةِ الكاملةِ ألا وهو الجانبُ الوجدانيُّ والرُّوحيُّ وعلاقةُ الإنسانِ بالمنهجِ الرَّبّانيّ** والقيمِ والأخلاقِ والدِّينِ، وقضايا النَّشأةِ الإنسانيَّةِ والمصيرِ والتَّطلُّعاتِ العليا والقيمِ الروحيَّةِ التي تغذّي روحَ الفردِ الذي هو عنصرٌ أساسٌ في بناءِ المجتمعِ الفاضلِ أوِ السَّليمِ.

وهذا أدَّى إلى انفصامٍ بينَ المعرفةِ العلميَّةِ والقيمِ الأخلاقيَّةِ العمليَّةِ، ومعَ معرفتِهم أنَّ التَّرابطَ بينَ المعرفةِ والقيمِ رابطٌ وثيقٌ غيرَ مستقلٍّ ولا منفصلٍ عنْ بعضِه البعضِ، وأنَّه منَ

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم، حديث رقم: (٣٦٥٠).

الضَّرورةِ أن يحقّقَ الإنسانُ التَّوازنَ بينَ إمكانيَّتِه الفائقةِ منَ الفهمِ والإدراكِ، وبينَ ما يقابلُها منَ الصِّفاتِ المتعلّقةِ بالطَّبعِ والأخلاقِ والعاطفةِ.

هذا لدى الغربِ، وأمّا في العالمِ العربيّ المعاصرِ، فكانتِ المشكلةُ قائمةٌ على قسمين: قسمٌ يقلّدُ الآباءَ، وقسمٌ يقلّدُ الغربَ، وكلاهما عطّلا أهمِّيَّةَ التربيةِ التي يجبُ أنْ ينشأَ عليها الطِّفلُ؛ ممّا أدّى إلى أنَّ المدرسةَ المعاصرةَ أولتْ اهتمامًا كبيرًا بالعقلِ المنطقيّ المجازيّ والتي ظهرتْ آثارُها في الكشوفِ العلميَّةِ والتَّقدّمِ التِّكنولوجيّ، كما أظهرتْ آثارَ التَّخلُّفِ في الأزماتِ الاجتماعيَّةِ والنَّفسيَّةِ الخطيرةِ التي يعاني منها الإنسانُ اليومَ.

أمَّا مؤسَّساتُ التَّربيةِ الإسلاميَّةِ التَّقليديَّةِ فتكبّلُ العقلَ الموصلَ بعالمِ الوحيِ بأغلالِ التَّقليدِ والجمودِ ورواسبِ الأبوّةِ القبليّةِ والعصبيّاتِ المذهبيّةِ، كما تهملُ "العقلَ" الذي يوصلُنا بعالمِ الكونِ ويرشدُنا إلى آياتِ اللهِ في الآفاقِ والأنفسِ[1]...

كيفَ نوجّهُ أبناءَنا توجيهًا سليمًا في زمنِ الأنترنتِ السَّريعِ:

المشكلةُ لا تتوقَّفُ عندَ (كيفَ نسيطرُ أو كيفَ نوجّهُ أبناءَنا في وقتِنا هذا)، بل تبدأُ المشكلةُ معَ خطأِ اختيارِ الزَّوجِ أوِ الزَّوجةِ لتكوينِ عائلةٍ متكافئةٍ متعاونةٍ. فالأسرةُ هي الخليةُ الاجتماعيَّةُ الأولى في المجتمعِ، وعلى صلاحِها وقوَّتِها واستقامتِها يتوقفُ صلاحُ المجتمعِ وقوَّتِه وتماسُكِه. فالمرأةُ والرَّجلُ هما عمادُ الأسرةِ؛ فإذا صلحَ كلٌّ منهما استطاعا أنْ يوجّها الأبناءَ إلى كيفيّةِ الاستغناءِ عنْ قنواتِ التَّواصلِ الاجتماعيّ الذي وللأسفِ أصبحَ المرجعَ الأساسَ والملجأَ الأمينَ لكلا الزَّوجين فلا وقتَ لأحدٍ منهما ليتكلَّمَ معَ الآخرَ أوْ ليناقشَ أمورَ العائلةِ!!!

لذا إنْ أردْنا التَّحكّمَ بهذه القنواتِ رحمةً بالأولادِ وسلامتِهم الاجتماعيّةِ، علينا أوَّلًا وضعُ أسسٍ يتَّفقُ عليها الوالدان قبلَ حتَّى فكرةِ الزَّواجِ:

---

(١) ماجد عرسان كيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، الأرد، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٣٦٥ – ٣٦٦ بتصرف.

يجبُ أنْ يتَّخذَ كلا الوالدين قاعدةً أساسيَّةً للتَّعاملِ معَ هذه القنواتِ ووضعَ حدودٍ وقيودٍ لها، يلتزمُ باحترامِها كلٌّ منَ الزَّوجين، وبعدَها نفكِّرُ كيفَ نوجّهُ أبناءَنا...

لذا يفضّلُ لهما في فترةِ ما قبلَ الإنجابِ تحديدُ الهدفِ منْ إنجابِ الأولادِ وطريقةِ تربيتِهم لتحقيقِ سنَّةِ اللهِ في خلقِه وهو الإنجابُ لإعمارِ الأرضِ وصلاحِها وطاعةٍ لأمرِ اللهِ وسنَّتِه.

فإنْ تمَّ التَّوافقُ بينَهما على المنهجِ المستقبليِّ للعائلةِ تحتَ ظلِّ مشاعرِ المحبَّةِ والرَّحمةِ والتَّكافلِ، وعلى التَّعهُّدِ بينَهما لتربيةِ أبنائِهما ورعايَتِهم وتنشئتِهم وفقَ منهجِ اللهِ عزَّ وجلَّ، يمكنُهم حينَها السَّيطرةَ على السُّيولةِ الشَّديدةِ في الاتِّصالِ...

إذ أنَّهما سينجحان في تربيةِ أولادٍ واعين مفكرين مخطِّطين للمستقبلِ.

أمَّا أنْ يكونَ لكلِّ زوجٍ وزوجةٍ رأيٌ مخالفٌ في كيفيَّةِ السَّيطرةِ على هذهِ القنواتِ وتطبيقٌ وفقَ منهجٍ تربويٍّ مستقيمٍ وصالحٍ، عندَها ستعمُّ الفوضى في اتِّخاذِ القراراتِ المناسبةِ لتربيةِ الأطفالِ وسيلجأُ الأطفالُ إلى الرَّأيِ الأسرعِ وإلى الحلِّ الذي يجدونَه معروضًا على شاشاتِ التلِّفازِ أوْ عبرَ وسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ السَّريعِ.

فما نلحظُه اليومَ وما نعيشُه يعتبرُ بثًّا للسُّمومِ وغرسًا للرَّذائلِ ومحوًا للقيمِ الرَّشيدةِ التي عرفتْها الأجيالُ المؤمنةُ السَّابقةُ.

كلُّ ذلكَ عبرَ قنواتِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ التي دخلَتْ كلَّ بيتٍ منْ بيوتِ المسلمين ولم تستثني أحدًا إلَّا منْ رحمَ ربِّي.

ولا تتوقَّفُ المشكلةُ على البيتِ بل تجاوزتْه إلى المجتمعِ العائليِّ، إذ كيفَ نسيطرُ على تدخُّلِ صلةِ الأرحامِ بقراراتِ الوالدين إنِ اتَّفقا على تطبيقِ منهجِ اللهِ السَّليم في البيتِ، والأهمُّ منْ ذلكَ، تعدِّي هذه المشكلةُ إلى المدرسةِ والمسجدِ والمجتمعِ ككلٍّ، فأينما ذهبْنا نجدُ هذه القنواتِ تبثُّ السُّمومَ عبرَ جميعِ القنواتِ الإعلاميَّةِ، إمَّا عبرَ الهواتفِ النَّقَّالةِ

أوِ التِّلفازِ أوْ دورِ السِّينَما أو في المقاهي... أينَما ذهبَتْ هذهِ الأسرةُ الملتزمةُ تجدُ الصِّعابَ تلاحقُها منْ جميعِ الجهاتِ، وهنا يتجلّى توافقُ وتلاحمُ الوالدين، إذ بتفاهُمِهما وتوافقُهما في الرَّأيِ يستطيعان أنْ يعتمدا منهجَ التَّوضيحِ والتَّفسيرِ السَّليمِ لكلِّ أمرٍ أو صعوبةٍ تواجهُ الأولادَ.

فبالحوارِ، والمحبَّةِ والنُّصحِ في التَّوجيهِ نحوَ الهدفِ الأسمى يتعلَّقُ الأولادُ بالوالدين، ويتَّخذا منهما قدوةً صالحةً ترشدُ إلى الخيرِ وتعلّمِ الأصحِّ، وتريد الخيرَ كلَّ الخيرِ للأولادِ، فتنموَ عندَ الأولادِ الثِّقةُ بالوالدين ويطيعونهما لأنَّهما القدوةُ الحسنةُ لهم.

ومنَ الطَّبيعيِّ إذا ما نشأَ الأولادُ على المحبَّةِ والنُّصحِ والحوارِ البنّاءِ والإخلاصِ في حلِّ مشاكلِ الأولادِ وفي تلبيةِ حاجاتِهم، فينهجون نهجَ الوالدين ويعودون إليهم وكلُّهم ثقةٌ أنَّهم سيجدون الصَّدرَ الحنونَ والعقلَ الرَّشيدَ والنَّصيحةَ الصَّادقةَ.

وبذلك يسيطرُ الأولادُ على غرائزِهم.

تأهيلُ المربِّي نفسَه ليتلاءَمَ مع معطياتِ الزَّمنِ المعاصرِ:

بعدَ تجربتي الخاصَّةِ بي، وبعدَ دراستي الحثيثةِ لمعرفةِ أهمِّيَّةِ التَّربيةِ في حياتِنا اليوميَّةِ، وبعدَ معرفةِ السَّببِ لما آلتْ إليه الأمَّةُ اليومَ، ومعرفةِ الخططِ التي وضعَها أعداءُ اللهِ، فتكالبَتْ علينا الأممُ خاصَّةً أنَّ أعداءِ اللهِ أصبحوا أكثرَ نفيرًا يسومون هذه الأمَّةَ سوءَ العذابِ، ويفرضون عليهمُ الخزيَ والعارَ، وهم يطبِّقون مآربَهمُ التَّوراتيَّةَ والتُّلموديَّةَ والصُّهيونيَّةَ كما خطَّطوا لها منذُ عامِ ٦٨٥ق.م.

باتَ واضحًا حاجةُ الفردِ إلى التَّأهيلِ من جميعِ الجوانبِ، أهمُّها العودةُ إلى التَّوحيدِ الصَّحيحِ ومعرفةُ أهمِّيَّةِ السَّيرِ على الصِّراطِ المستقيمِ واتِّباعِ منهجِ اللهِ عزَّوجلَّ، وهذا لن يتمَّ إلَّا عبرَ الإعلانِ عنه وإخبارِ أهمِّيَّةِ التَّعلُّمِ والتَّعليمِ لنصلَ إلى حثِّ هذا الجيلِ إلى السَّعيِ الحثيثِ إلى

معرفةِ الدَّوراتِ العلميَّةِ التي تساعدُه وتعينه على معرفةِ الأساليبِ التَّربويَّةِ الصَّحيحةِ، والبعدِ عنِ الفرقِ الضَّالَّةِ، وإلَّا كيفَ له بناءُ أسرةٍ بالأصلِ لاأساساتَ لها يحميها من غدرِ الأعداءِ. وخلالَ مقالِنا هنا سنسلِّطُ الضَّوءَ على أهمِّيَّةِ التَّربيةِ لكلا الزَّوجين من جميعِ الجوانبِ الاعتقاديَّةِ والاجتماعيَّةِ .....

أهمُّ شيءٍ هوَ أنَّ التَّربيةَ الثَّابتةَ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ هي صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. والسَّيرُ على منهجِ اللهِ عزَّ وجلَّ هو من لدنْ آدمَ عليه السَّلامُ إلى خاتمِ النَّبيِّينَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وعدمُ الانبهارِ بما وصلَ إليه الغربُ من تكنولوجيا وحضارةٍ مبنيَّةٍ على أساساتٍ خاويةٍ كمسجدِ ضرارٍ...

العمرُ الذي تتوقفُ عندَه التَّربيةُ:

بعدَ معرفتِنا لمعاني التَّربيةِ لغةً واصطلاحًا ومعناها منَ القرآنِ الكريمِ أنَّها تشملُ الرِّعايةَ للطِّفلِ الصَّغيرِ، وكفالتِه حتَّى يشتدَّ عودَه ويبلغَ سنَّ الرُّشدِ.

ومعرفةُ الأهدافِ التي خُلِقَ لأجلِها الإنسانُ، ألا وهي الإصلاحُ والإعمارُ ومعرفةُ ممَّ يتكوَّنُ الإنسانُ وما هي المقوِّماتُ التي أنعمَ اللهُ بها على هذا الإنسانِ ليدخلَ مرحلةَ الاختبارِ {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢].

ومعرفةُ أهمُّ أمرٍ ألا وهو أنَّ التَّعلُّمَ ومعرفةَ جميعِ الأوامرِ والنَّواهي... والأهمُّ أنَّ بابَ التَّوبةِ مفتوحٌ ما لم تطلعِ الشمسُ منْ مغربِها وما لمْ تغرغرِ الرُّوحُ... فتكونَ التَّربيةُ ممتدَّةٌ حتَّى نهايةِ العمرِ... والأهمُّ هو معرفةُ أنَّه لا يعذرُ الجاهلُ لجهلِه وخاصَّةً بعدَما تحدَّثْنا عنْ جميعِ قنواتِ الاتِّصالِ التي يمكنُ لهذا الفردِ معرفةَ ما يطلبُه اللهُ عزَّ وجلَّ منَّا... فلا يعذرُ الجاهلُ لجهلِه خاصَّةً لما هو معلومٌ منَ الدِّينِ بالضَّرورةِ لصلاحِ حياتِه في الدُّنيا والآخرةِ وكما تحدَّثْنا أعلاها لا إلهَ إلَّا اللهُ وأدناها إماطةُ الأذى عنِ الطَّريقِ... فتزكيةُ النَّفسِ وعودتُها إلى الفطرةِ التي فطرَها اللهُ عليها، وأبوابُ جميعِ الطَّاعاتِ التي فرضَها اللهُ علينا منْ صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ

وحجٍّ معَ الاستطاعةِ منتشرةً بفضلِ اللهِ تعالى إلى يومِنا هذا. المهمُّ كيفَ نقودُ أنفسَنا إلى النَّجاحِ في الدُّنيا والآخرةِ وإلى الفوزِ برضى الرَّحمنِ ودخولِ الجنانِ..

التّربيةُ في مجتمعٍ يشيعُ فيه الفسادُ:

في هذه الحالةِ يجبُ على كلِّ فردٍ منَ الأفرادِ دراسةُ ومعرفةُ فقهَ أشراطِ السَّاعةِ ومعرفةُ أهمِيَّةِ هذهِ الأشراطِ والإماراتِ، فالإماراتُ والأشراطُ علاماتُها الصَّحيحةُ الثَّابتةُ؛ جزءٌ لا يتجزَّأُ منَ الإيمانِ باليومِ الآخرِ، والذي هو جزءٌ لا يتجزَّأُ منَ الإيمانِ بالغيبِ...

والحديثُ عن أشراطِ السَّاعةِ مهمٌّ، ولا سيّما إذا ابتعدَ النَّاسُ عن تذكُّرِ الآخرةِ وانشغلوا بالدُّنيا وملذَّاتِها، فإنَّ في أشراطِ السَّاعةِ المحسوسةِ التي تظهرُ ويراها النَّاسُ بأعيُنِهم كما أخبرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما يعيدُ النَّاسَ إلى ربِّهم ويوقظُهم منْ غفلتِهم[1].

فمنْ أشراطِ السَّاعةِ التي أخبرَ عنها الصَّادقُ المصدوقُ ما ظهرَ، منها قبضُ العلمِ وظهورُ الجهلِ، وانتشارُ الرِّبا والزِّنا وظهورُ المعازفِ واستحلالُها وكثرةُ شربِ الخمرِ والتَّطاولِ في البنيان و... فتنٌ كقطعِ الليلِ المظلمِ...

ولكنْ بفضلِ اللهِ تعالى ومنّه وكرمِه "لا تزالُ طائفةٌ منْ أمَّتي منصورين لا يضرُّهم من خذلَهم حتّى تقومَ السَّاعةُ"[2]...

ومنها: "بادروا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ الليلِ المظلمِ، يصبحُ الرَّجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيعُ أحدُهم دينَه بعَرَضٍ منَ الدُّنيا"[3].

فإنَّنا منْ دراستِنا لفقهِ أشراطِ السَّاعةِ، يجبُ الإعدادُ التَّربويُّ لهذهِ الفترةِ، وإنْ تتبَّعْنا التَّاريخَ نجدْ دومًا جوانبَ تاريخيَّةً وتربويَّةً خاصَّةً في الفترةِ التي سبقتْ إخراجَ جيلِ صلاحِ

---

(١) عبدالله بن سليمان الغفيلي، أشراط الساعة، ص١٩ – ٢٠.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في الشام، حديث رقم: (٢١٩٢).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، حديث رقم: (٢١٩٥).

الدِّينِ الأيُّوبيّ، حينَ نتعرَّفُ على سيرتِه التي سبقتْ فتحَ بيتِ المقدسِ... وهلْ يخطرُ بالبالِ أنَّه إنسانٌ عاديٌّ جدًّا!!! إذنْ لماذا دوّنَ التَّاريخُ سيرةَ هذا الرّجلِ؟ وكيفَ يمكنُنا أن نستقيَ جوانبَ تربويَّةً منْ تاريخِه... ولدَ عامَ ٥٣٢هـ في قلعةِ تكريتَ ونشأَ في الموصلِ وبعلبكَّ في كنفِ والدِه الذي كانَ أحدَ ضبَّاطِ نورِ الدِّينِ الزَّنكيّ، والدُه عمادُ الدِّينِ الزَّنكيّ القائمِ على الإصلاحِ والتَّجديدِ إلى التَّفكيرِ في بناءِ "أمّةٍ إسلاميَّةٍ جديدةٍ" فكانَتِ الأمَّةُ الجديدةُ هي الدَّولةُ التي بدأَ عمادُ الدِّينِ في توطيدِ أركانِها، حيثُ قلبَ الخلافةَ حينَ كانَ منْ قادةِ جيشِ السُّلطانِ وقتَها عامَ (٥٢١هـ).

ومنْ خلالِ نشأةِ صلاحِ الدِّينِ في كنفِ والدِه نشأَ شابًّا عاديًّا يكرّسُ أوقاتَه لركوبِ الخيلِ ولهوِ الشَّبابِ، واستمرَّ في ذلكَ حتَّى خروجِه معَ عمِّه أسدِ الدِّينِ أكبرِ أمراءِ جيشِ نورِ الدِّينِ في حملتِه إلى مصرَ، حيثُ انضمَّ إلى معسكرٍ عقائديٍّ فكريٍّ وروحيٍّ وعسكريٍّ. ولقدْ وصفَ صلاحُ الدِّينِ حالتَه النَّفسيَّةَ عندَ بدءِ التحاقِه بهذا المعسكرِ فقالَ: "كنْتُ أكرهُ النَّاسَ للخروجِ في هذهِ الدَّفعةِ وما خرجتُ معَ عمّي باختياري وهذا معنى قولِه تعالى: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}[البقرة: ٢١٦].

لقدْ تبدّلَتْ شخصيَّتُه بتأثيرِ التَّوجيهِ الإسلاميّ الذي تعرَّضَ له، واتَّخذَ موقعَه في الحركةِ الإسلاميَّةِ التي يقودُها نورُ الدِّينِ ويصفُ ابنُ شدَّادَ هذا التَّحوّلَ في حياةِ صلاحِ الدِّينِ واستقرارِه على النَّهجِ بعدَ وفاةِ عمِّه أسدِ الدِّينِ وتولِّي صلاحَ الدِّينِ أمرَ مصرَ...

وصفُ ابنُ شدَّادَ قال: "وفوّضِ الأمرَ بعدَه إلى السُّلطانِ، واستقرَّتِ القواعدُ واستتبَّتِ الأحوالُ فتابَ إلى اللهِ وأعرضَ عنْ أسبابِ اللهوِ، وتقمّصَ بلباسِ الجدِّ والاجتهادِ... فجميعُ تراجمِ صلاحِ الدِّينِ الأيُّوبيّ تؤكّدُ هذا الكلامَ. معَ ذكرِ أسماءٍ كانَ لها الأثرُ في تغييرِ حياةِ صلاحِ الدِّينِ الأيُّوبيّ، ولمنْ أرادَ معرفةَ تراجمِ هؤلاءِ العلماءِ عليه بالعودةِ إلى التَّاريخِ...

ومنْ هنا نجدُ أنَّ التَّربيةَ كانَ لها الدَّورُ الأساسُ في هذه المرحلةِ قبلَ خروجِ صلاحِ الدِّينِ الأيوُّبيّ وفتحِ بيتِ المقدسِ، وما هي المدارسُ التي مرَّ بها جيلُ صلاحِ الدِّينِ الأيُّوبيّ وكانَ لها الأثرُ في النَّصرِ في معركةِ حطينَ المعركةِ الفاصلةِ بينَ الصليبيّين والمسلمين بقيادةِ صلاحِ الدِّينِ، وقعتْ في يومِ السَّبتِ ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ. فالتَّربيةُ قيمٌ يكتسبُها الإنسانُ في نشأتِه فتحفظَه وتحميَه في حياتِه وبعدَ مماتِه!!

كيفيَّةُ التَّعاملِ السَّليمِ مع الطِّفلِ إلى أن يبلغَ أي للوصولِ إلى مايسمَّى (مراهقة):

أنَّ المنهجَ الإسلاميَّ يتضمّنُ نظامًا متكاملًا للحياةِ الإنسانيَّةِ بصفةٍ عامّةٍ وفي كلِّ تصرّفاتِ الإنسانِ وسلوكِه، فقدْ وضّحَ المنهجُ المصالحَ التي على الإنسانِ أنْ يسلكَها والمفاسدَ التي عليه أن يتجنّبَها، وأظهرَ كلَّ دقائقِ الحياةِ التّربويّةِ والاجتماعيَّةِ للفردِ والمجتمعِ، فالدّينُ الإسلاميُّ دينُ قيّمٍ وضوابطُ سلوكيّةٌ ماديّةٌ ومعنويَّةٌ، وتعتبرُ القيمُ بجانبِها الإيجابيّ والسّلبيّ محدّداتٌ لسلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ(١).

وما أحوجَ النّشءِ في واقعِنا المعاصرِ إلى التّربيّةِ القيميّةِ الإسلاميَّةِ، منْ خلالِ المناهجِ والأنشطةِ داخلَ المدارسِ والجامعاتِ، وما أحوجَ شبابِ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ في الحاضرِ إلى منْ يوجّهُهم ويرشدُهم نحوَ الالتزامِ بالمبادئِ والقيمِ عنْ طريقِ الأسرةِ ثمَّ يكونُ الدّعمُ وتعهُّدُ الغرسَ بالعنايةْ من خلالِ المؤسَّساتِ التَّربويةِ ووسائلِ الإعلامِ إذْ إنّ تعزيزَ القيمِ يدخلُ ضمنَ الأهدافِ الأساسيَّةِ للمؤسَّساتِ التَّربويّةِ، فكما للأسرةِ دورٌ فعَّالٌ في غرسِ القيمِ المؤسَّساتُ التَّربويَّةُ أيضًا لها الدَّورُ المكمّلُ فلا تتوقَّفُ فقطْ على الإرشادِ والتَّعلُّمِ والتَّوجيهِ، بل لا بدَّ منْ تطبيقِ القيمِ التَّربويَّةِ داخلَ الأسرةِ والمؤسَّساتِ التَّربويَّةِ.

(١) محمد مصطفى زيدان (١٤٠٥)، علم نفس تربوي، السعودية: جدة، دار الشروق، ط٢، ص١٩.

إذنْ هذه المرحلةُ ليستْ مرحلةُ "مراهقةٍ" بلْ هيَ مرحلةُ البلوغِ التي تقعُ بينَ الطُّفولةِ والرّشدِ، مرحلةٌ نمائيَّةٌ انتقاليَّةٌ منْ عالمِ الطُّفولةِ إلى عالمِ الكبارِ، فمرحلةُ البلوغِ تعني مجموعةٌ منَ التَّغيّراتِ المتميّزةِ الجسميّةِ والعقليّةِ والانفعاليَّةِ والاجتماعيَّةِ، فعندَ بداياتِ هذه المرحلةِ ومعَ البلوغِ يأخذُ الاتّزانُ الجسميُّ والنَّفسيُّ في الاختلالِ النّسبيّ، كما تحدثُ تغيُّراتٌ عضويّةٌ للجسمِ وتظهرُ الوظيفةُ التّناسليّةُ، وتتحلّلُ الاهتماماتُ والعاداتُ الطُّفوليّةُ وتبرزُ اهتماماتٌ جديدةٌ تشهدُ على وجودِ رغبةٍ في توسيعِ أفقِ الحياةِ، كما أنَّ هناكَ بعضُ الخصائصِ التي يتميَّزُ بها الإنسانُ في هذهِ المرحلةِ نتيجةَ هذهِ التَّغيّراتِ فتظهرُ عندَه مظاهرُ سلوكيَّةٌ مختلفة مثلُ تمرّدِهم على آبائِهم وثورتِهم على مدّرسيهم وعلى أشكالِ السّلطةِ المختلفةِ، وهناكَ نظريَّاتٌ أوروبيَّةٌ تفسِّرُ هذهِ المرحلةَ على أنَّها فترةٌ عصيبةٌ في النُّموِّ يشوبُها القلقُ والتّوتّرُ والأزماتُ النَّفسيَّةُ الحادّةُ بالنِّسبةِ لجميعِ النَّاشئةِ ولذا يعتبرُها (مندرس) فترةَ الحياةِ المتشنِّجةِ ويعتبرُها (بوهلر) فترةً سلبيَّةً[1].

أمَّا بالنِّسبةِ للمسلمين فتعريفُ مرحلةِ البلوغِ بأنَّها: مرحلةٌ نمائيَّةٌ انتقاليَّةٌ ينتقلُ بها الإنسانُ في حياتِه منْ عالمِ الطُّفولةِ إلى عالمِ الرّشدِ، تتميَّزُ بمجموعةِ التّغيّراتِ الجسميّةِ، والعقليّةِ والانفعاليَّةِ، والاجتماعيَّةِ[2].

لذا يتَّضحُ لدينا أنَّ كلمةَ "مراهق" هي كلمةٌ مشتقَّةٌ منَ الغربِ، الهدفُ منها أنْ يكونَ هذا الفردُ هو وأسرتُه بحالةٍ يشوبُها القلقُ والتَّوتُّرُ والأزماتُ النَّفسيَّةُ الحادَّةُ... وليسَ الإنسانُ الذي ينتقلُ منْ عالمِ الطُّفولةِ إلى عالمِ الرُّشدِ... أصلًا يحاسبُ الإنسانُ وتبدأُ صفحاتُه بكتابةِ الحسناتِ والسَّيّئاتِ عندَ سنِّ البلوغِ، فالمكلَّفُ هو البالغُ العاقلُ سليمُ الحواسِ، بَلَغَتْه الدَّعوةُ... فَلِمَ نملأُ هذهِ الصحيفةَ معَ بدايةِ انتقالِه منْ مرحلةِ الطُّفولةِ إلى مرحلةِ الرُّشدِ بهذا القلقِ والتَّوتُّرِ؟ إنْ بدأْنا فعلًا في تربيتِه والتَّحضيرِ لهذهِ المرحلةِ مسبقًا معَ رعايتِه والاهتمامِ به

(١) هشام مخيمر (٢٠٠٢)، الطفولة والمراهقة، السعودية، الرياض: إشبيليا للنشر والتوزيع، ص٥١.

(٢) ولمن أراد التوسع انظر: د. شيرين لبيب خورشيد، القيم الأخلاقية الواردة في كتب التربية الإسلامية من ص٩٧ – ١١٦.

وتوليتِه حسنَ الإصغاءِ والتَّعبيرِ عمَّا يعاني، فما على الوالدين إلَّا الاهتمامُ بهذا الجانبِ وإعطائِه الوقتُ الكافي للحوارِ البنَّاءِ فيتحدّثُ عمّا يشعرُ بداخلِه، والوالدان يصغيان له فَتَعَلُّمُ مهارةِ الإنصاتِ هي منَ المهاراتِ التي يجبُ أنْ يسعى لتعلُّمِها كلا الزوجين.

فإنْ بدأْنا تربيتَه منذُ نعومةِ أظفارِه معَ التَّوكُّلِ على اللهِ والدُّعاءَ له بحفظِه ورعايتِه، وإعلامِه ما هو مطلوبٌ منّا في حياتِنا اليوميَّةِ، بذلكَ تغرسُ فيه القيمُ منذُ الطُّفولةِ للوصولِ إلى برِّ الأمانِ عندَ بلوغِه. هذا ما يجبُ عليه التَّجهيزَ له قبلَ حدوثِه، ومتابعةَ جميعِ قنواتِ التَّواصلِ معَ الحرصِ على اتِّباعِ الأنظمةِ التي تلغي القنواتِ الضَّارَّةِ لتربيةِ هذا البالغِ، ومتابعتِه في المدرسةِ ومعرفةِ منْ همْ أصدقاؤُه ومنْ يصاحبُ... وأنصحُ في هذهِ الفترةِ بأنْ يقتنيَ بعضَ ما يحبُّ منَ الحيواناتِ كالقطَّةِ أوِ العصافيرِ(أنواع الحيوانات المباح اقتنائها في المنزل) التي تساعدُ هذا البالغَ بتمضيةِ أوقاتِه بما يحبُّ هو... فتمرُّ هذه الفترةُ بدونِ مشاكلَ ولا اضطراباتٍ... معَ النُّصحِ بالإجابةِ عنْ جميعِ أسئلتِه التي تراودُه إجابةً صحيحةً ولا يخفى شيءٌ عنه وإلَّا سيضطرُّ للسُّؤالِ عنه خارجَ المنزلِ... في النِّهايةِ التَّحضيرُ لكلِّ هذهِ المراحلِ يجبُ أنْ يراعيها كلا الوالدان من حينِ ولادتِه إلى حينِ بلوغِه سنُّ الرُّشدِ... كما لا ننسى الجانبَ الرِّياضيَّ فإنَّ ممارستَه لنوعٍ منْ أنواعِ الرِّياضةِ التي اهتمّ مربُّونا في تربيةِ النَّاشئةِ عليها، ألا وهي الرِّمايةُ وركوبُ الخيلِ والسِّباحةُ، فيبلغُ الطِّفلُ قويَّ البنيةِ صحيحَ الجسمِ، محافظًا على صحَّةِ الجسمِ ونشاطِه.

والابتعادُ عنْ قنواتِ الهوى التي تصدعُ في يومِنا هذا بما يسمَّى (سوبر ستار) (أو ستار أكاديمي) أو غيرِها منَ البرامجِ الهادفِ لانحرافِ الشبَّابِ عنِ الدِّينِ القويمِ الذي حرّمَ علينا الغناءَ... فلنْ أطيلَ الحديثَ عنْ أضرارِ هذهِ البرامجِ على هذهِ المرحلةِ منْ مراحلِ البلوغِ.

موقفُ الآباءِ والأمَّهاتِ أثناءَ تربيةِ الأبناءِ:

أنَّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضَّعيفِ... وأنا أقولُ إنَّ سببَ الخوفِ والحذرِ هو الجهلُ الذي هو المدخلُ الأوَّلُ لدخولِ الشَّيطانِ والسَّيطرةِ على الإنسانِ... أمَّا إنْ تعلّمَ الإنسانُ كلَّ ما يدورُ حولَه، وكلَّ ما يستطيعُ معرفتُه منْ علومٍ سواءً كانتْ دينيَّةً أوْ علميَّةً أوْ تكنولوجيَّةً فقدْ فهمَ سرَّ ما يدورُ حولَه واستطاعَ السَّيطرةَ عليه فيجبُ على الآباءِ متابعةَ كلِّ جديدٍ ومعرفةَ ما يحدثُ في العالمِ ككلٍّ، فهذهِ الثَّقافةُ العامَّةُ تغلقُ أبوابَ الشَّرِّ ويتعرَّفُ الوالدان على الإجابةِ عنْ كلِّ ما يريدُه الأطفالُ والبالغون...

والأهمُّ هو الدُّعاءُ والدُّعاءُ والدُّعاءُ فهو السِّلاحُ البتّارُ وهو سلاحُ الحفظِ والإيداعِ وهو سلاحُ الاستعاذةِ منْ شرِّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ، وهو سلاحُ الحمايةِ منْ كيدِ الشَّيطانِ وشرِّه.

القدوةُ:

إنْ عدْنا إلى دراسةِ المشكلاتِ السُّلوكيَّةِ في مرحلةِ البلوغِ والمرحلةِ المتوسِّطةِ والتي يمكنُ أنْ يتعرَّضَ لها البالغُ، حيثُ تتَّخذُ المشكلاتُ السّلوكيَّةُ مظاهرَ وأشكالًا عدَّةً منها على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ: الكذبُ، السَّرقةُ، التَّقليدُ الأعمى، الانحرافاتُ السلوكيَّةُ، ونحوَ ذلك ومنْ أكثرِ المشكلاتِ السُّلوكيَّةِ نجدُها في محيطِ الدِّراسةِ منها السُّلوكُ العدوانيُّ، سلوكُ الشّرودِ والتَّشتُّتِ، سلوكُ الميلِ إلى النَّشاطِ الزّائدِ، الإدمانُ –مشكلاتُ الجنسيَّةِ والعاطفيَّةِ...

لذا أهمِّيَّةُ معرفةِ سببَ هذهِ المشاكلِ، وممّا يسبّبُ وقوعَ الشَّبابِ في مثلِ هذهِ المشاكلِ ما يلي:

١ – ضعفُ الوازعِ الدّينيّ والجهلُ بأحكامِ الشَّريعةِ.

٢ – غيابُ القدوةِ الحسنةِ سواءً كانَتْ منْ أولياءِ الأمورِ أوْ منَ المعلِّمين أو منْ كبارِ رجالاتِ الأعمالِ والاجتماعيّين.

٣ – التَّفكُّكُ الأسريُّ وانشغالُ الأفرادِ بمباهجِ الحياةِ ممّا أدّى إلى تخلّي الأبوين عنْ دورِهما الأساسيِّ في التَّربيةِ وعدمِ إسداءِ النّصحِ والتَّوجيهِ لأبنائِهما في هذهِ المرحلةِ الحسّاسةِ.

٤ – التَّدليلُ المفرطُ أوِ الشِّدّةُ الزّائدةُ تؤدّي إلى وقوعِ الشَّبابِ في مثلِ هذهِ المشاكلِ حيثُ يجبُ على كلِّ أبٍ أنْ يتعاملَ معَ أبنائِه في هذهِ المرحلةِ تعاملًا أخويًّا دونَ تركِهم يفعلون ما يشاؤون دونَ عقابٍ أوْ توجيهٍ كما على الوالدِ ألَّا يقومَ في الوقتِ نفسِه بالتَّضييقِ والتَّشديدِ عليهم ومحاسبتِهم على كلِّ صغيرةٍ وشاردةٍ وواردةٍ.

٥ – الاستخدامُ السَّلبيُّ للإنترنتْ.

٦ – مصاحبةُ رفقاءِ السّوءِ.

٧ – بعضُ المعلِّمين لهم سلوكيَّاتٌ سيِّئةٌ وتصرّفاتٌ غيرُ لائقةٍ يظهرُها أمامَ الطُّلابِ ممّا يؤثّرُ سلبًا عليهم والبعضُ الآخرُ منَ المعلِّمين تقعُ عينُه على بعضِ هذهِ السُّلوكيَّاتِ المنحرفةِ ولا يقومُ بالتَّوجيهِ والنّصحِ والإرشادِ فهمُّه الأوَّلُ هوَ تدريسُ الطّلابِ مادَّتَه العلميَّةَ وإنهائِها في الوقتِ المحدّدِ.

فأسلوبُ القدوةِ الحسنةِ يتربَّعُ على قمّةِ الأساليبِ التَّربويَّةِ المؤثّرةِ في العمليَّةِ التَّربويَّةِ، ذلك الأسلوبُ النَّاجحُ، الذي يترجمُ الكلماتِ إلى مواقفَ، ويحوّلُ العباراتِ إلى سلوكيَّاتٍ وأخلاقٍ، فتربّى النّفوسُ منْ خلالِه تربيةً صحيحةً، فالقدوةُ الصَّالحةُ لها أهمِّيَّةٌ كبيرةٌ في تربيةِ الفردِ وتنشئتِه[1].

(١) انظر: القيم الأخلاقية في كتب التربية الإسلامية، شيرين لبيب خورشيد، ص١١٠ – ١١٣، لمعرفة أهمية القدوة في التربية.

وسائلُ غرسِ القيمِ في الأبناءِ:

نشرتْ لي "مطالعاتٌ تربويَّةٌ" على شبكةِ الألُوكةِ تبيّنُ بعضَ المطالعاتِ التَّربويَّةِ التي اهتمَّ بها الإسلامُ ووجَّهَ الأنظارَ إليها... فالآياتُ والأحاديثُ الصَّحيحةُ التي تحثُّ المربِّيَ على اتبّاعِها في مراحلِ تربيتِه لطفلِه وكيفيَّةِ غرسِ روحِ الخشوعِ والتَّقوى لله عزَّ وجلَّ...

وقدْ أبرزتُ في هذه المطالعةِ الخصائصَ المتعلِّقةَ بالطِّفلِ منْ عمرِ الثَّلاثِ سنواتٍ كمرحلةِ الإدراكِ والاستيعابِ عندَ الطِّفلِ...

أمَّا كيفيَّةُ غرسَ هذه القيمِ فعلى الوالدين أوَّلًا وضعُ ورقةٍ وقلمٍ ويتَّفقا على هذهِ القيمِ وتكونُ منَ الثَّوابتِ التي أمرَنا بها اللهُ عزَّ وجلَّ فالأصلُ إنَّ هذا المولودَ مولودٌ على الفطرةِ قالَ تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: ٣٠].

وكما وردَ في قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"ما منْ مولودٍ إلَّا يولدُ على الفطرةِ فأبواه يهوّدانِه أوْ ينصِّرانِه أوْ يمجِّسانِه"**(١).

إذًا الذي يوجّهُ الفطرةَ وينمّيها الوسائلُ التربويَّةُ المختلفةُ، ومنها:

١ – البيئةُ الأسريَّةُ.

٢ – الأقاربُ والأصدقاءُ.

٣ – المسجدُ.

٤ – المدرسةُ والسُّوقُ والمتجرُ والشَّارعُ وغيرُها... أعودُ وأكرِّرُ أنَّ الرَّجلَ والمرأةَ هما عمادُ الأسرةِ، فإذا صلحَ كلٌّ منهما استطاعا أنْ يكوّنا بيتًا نموذجيًّا على القواعدِ التي وضعَها الإسلامُ، وقدْ وضعَ الإسلامُ قواعدَ البيتِ فأحكمَ وضعَها، فأرشدَ الزوَّجين إلى حسنِ الاختيارِ، وبيّنَ أفضلَ الطّرائقِ للارتباطِ قالَ تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}[الروم: ٢١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصّبيّ فمات، هل يصلى عليه، حديث رقم: (١٣٥٨).

وحدّدَ الحقوقَ والواجباتِ على كلٍّ منَ الطَّرفينِ وما يتميّزُ به كلُّ واحدٍ منهما فقالَ تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٨].

والإسلامُ يعتبرُ نظامَ الأسرةِ هو النّظامُ الطّبيعيُّ الفطريُّ المنبثقُ منْ أصلِ التّكوينِ الإنسانيّ، بلْ منْ أصلِ الأشياءِ كلِّها في الكونِ الذي يقومُ على قاعدةِ الزّوجيّةِ، والأسرةُ هي المحضنُ الطّبيعيُّ الذي يتولّى حمايةَ النّاشئةِ ورعايتِها وتنميةَ أجسادِها وعقولِها. وفي ظلِّه تنمو (تنبع) مشاعرَ الحبِّ والرّحمةِ والتّكاملِ. وتتطبَّعُ بالطّابعِ الذي يلازمُها مدى الحياةِ.

فالوضعُ الدّينيُّ للأسرةِ له الأثرُ الكبيرُ في تنشئةِ الأطفالِ وتربيتِهم، فالعلاقةُ بينَ أفرادِ الأسرةِ والقيامُ بالعباداتِ والتّمسُّكِ بالشّعائرِ والتّحلّي بالخلقِ الحسنِ في القولِ والعملِ والأخذِ بالقيمِ الفاضلةِ التي تدعو لحبِّ الخيرِ وكرهِ الشّرِّ وغرسِ القيمِ الطّيّبةِ بينَ الأطفالِ والحرصِ على مصالحِ النّاسِ والكفِّ عن إيذائِهم: فكلُّ ذلك يدركُه الطِّفلُ ويحسُّه ويشعرُ به منْ خلالِ تفاعلِه معَ جماعتِه المحافظةَ، بينَما ينمو في اتّجاهٍ مخالفٍ إذا نشأ في أسرةٍ تهتزُّ فيها القيمُ والمعاييرُ الخلقيَّةُ السّليمةُ وتنمو معه بذورُ الشّرِّ والانحرافِ الخلقيِّ الذي تنعكسُ آثارُه في مواقفِ الحياةِ والمجتمعِ(١).

لذا نتساءلُ: هل تعلّمَ الوالدان هذه القيمَ وطبّقَها كلٌّ منهما على أرضِ الواقعِ؟ قبلَ أنْ نفكّرَ كيفَ نغرسُ هذه القيمَ في نفوسِ أولادِنا...

هل تمَّ بناءُ الأسرةِ على هذهِ الأسسِ حتّى تتمَّ رعايةُ الطِّفلِ وتنشئتُه النّشأةَ السّويةَ...

وسأسردُ بعضَ القيمِ التي يجبُ معرفتُها منْ قبلِ الوالدين حتّى تغرسَ في نفوسِ الأطفالِ منْ خلالِ تصرُّفاتِ وأعمالِ ذويهم.

- حبُّ اللهِ ورسولِه.
- شعائرُ الإسلامِ.
- شكرُ اللهِ على نعمِه.
- الصّدقُ.

(١) منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، القاهرة، الأنجلو المصريّة، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٨٩.

- الأمانةُ.
- التَّسامحُ.
- النِّظامُ.
- برُّ الوالدين وطاعتُهما واحترامُ كبارِ السِّنِّ.
- التَّحلّي بمكارمِ الأخلاقِ.
- آدابٌ إسلاميَّةٌ (آدابُ الطَّعامِ، آدابُ الحديثِ، الاستئذانُ،... غيرُها).
- الرِّفقُ بالمخلوقاتِ.
- احترامُ الوقتِ.
- ترشيدُ الاستهلاكِ.
- النَّظافةُ.

وهذه القيمُ تكتسبُ بالمعايشةِ والمشاهدةِ منْ حينِ الولادةِ حتَّى يصلَ للمرحلةِ المتوسِّطةِ فهناك قيمٌ لهذا العمرِ يجبُ معرفتَها ألا وهي:

- الإيمانُ باللهِ وحدَه.
- التَّوكُّلُ على اللهِ.
- تقديرُ العلمِ والعلماءِ.
- حسنُ الخلقِ.
- العفَّةُ.
- التَّواضعُ.
- الاعتذارُ عندَ الخطأِ.
- تحمّلُ المسؤوليَّةَ.

- الإصلاحُ بينَ النَّاسِ.
- آدابُ التَّعاملِ معَ الآخرِ وإنْ كانَ كافرًا.
- مساعدةُ المحتاجِ.
- الاعتدالُ في اللّباسِ.
- الاقتصادُ في الإنفاقِ.
- الولاءُ والانتماءُ للوطنِ.
- إشاعةُ المحبّةِ والتَّسامحِ.
- الانضباطُ.
- الإبداعُ والتَّميّزُ.

وكيفَ يتمُّ غرسُ هذهِ القيمِ في نفوسِ الأطفالِ؟ يجبُ أوَّلًا على الوالدين معرفتَها وتعلُّمَها وتطبيقَها سلوكيًّا على أرضِ الواقعِ، فالقدوةُ الحسنةُ هي أوَّلُ بدايةِ الغرسِ، فمثلًا الإيمانُ باللهِ: هلْ تعرَّفَ الوالدان على أركانِ الإيمانِ وهل كلاهما يردّداها أمامَ هذا الطِّفلِ، حبُّ اللهِ وحبُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هل تعرّفا على التَّوحيدِ الذي أنزلَ على قلبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ لغرسِ أسماءِ اللهِ الحسنى الثَّابتةِ وتطبيقِها عمليًّا حينَ الدُّعاءِ، وتكرارِها معَ كلِّ حالةٍ يمرُّ بها الوالدان. هل تعرَّفا على صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ لكي ينتبهَ كلاهما إلى الشُبّهِ التي يبثُّها جميعَ وسائلِ الإعلامِ... فعدوُّ اللهِ الشَّيطانُ وأعوانُه لم يتوانَ لحظةً عنْ بثِّ هذه السُّمومِ فهلْ تعلَّماها لتحصينِ هذهِ النَّفسِ منْ شرِّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ؟!! يجبُ تحصينُ هذا الطِّفلِ بالحقِّ حتَّى إذا خرجَ إلى المجتمعِ تكونُ شخصيَّتُه متوازنةً وهو منْ يعلّمُ الآخرين... وهي منْ ثمراتِ الإيمانِ باللهِ تعالى، ومنْ ثمراتِ حلاوةِ الإيمانِ كما يتذوَّقُها الإنسانُ. (يتذوَّقُها في الرّاحةِ والرّضى والسّعةِ، لا يعرفُ لها سببًا إلَّا أنّه أنسَ باللهِ واطمأنَّ إلى أنَّه في حمايتِه وعنايتِه ورحمتِه، وتذوّقَها: أيْ أنَّه لا يضيقُ ولا يفزعُ منْ قدرٍ أوْ مستقبلٍ فهوَ مؤمنٌ باللهِ مطمئنٌّ قلبُه إليه).

هذا مثالٌ لأحدِ القيمِ التي يجبُ أن تغرسَ في قلبِ الوالدين... ليتمَّ لاحقًا غرسُها في نفوسِ الأطفالِ عن طريقِ الممارسةِ بفضلِ اللهِ تعالى ومنّهِ وكرمِه، وضعتُ هذهِ المنهجيَّةَ منْ صفِّ الحضانةِ

إلى الصَّفِّ الثَّاني الثَّانويّ وقدْ أخرجتُ كتابَنا الأوَّلَ (الغرسُ الطيّبُ) الذي يمكنُ للوالدين تعلُّمُ هذه القيمِ وتطبيقِها في حياتِهم اليوميَّةِ...

كتبٌ تربويَّةٌ تعين الآباءَ في التَّربيةِ بكلِّ مراحلِها:

منْ خلالِ تجربتي التَّعليميَّةِ منذُ عامِ ١٩٩٥م شعرتُ بغربةٍ تامَّةٍ وبُعْدٍ كاملٍ عنْ هذهِ المنهجيَّةِ... فأينَ منهجُ اللهِ في خلقِه؟ حتَّى أنَّنا نجدُ تقصيرًا كبيرًا وابتعادًا واسعًا منَ المسلمينْ من تطبيقِ هذا المنهجِ الرَّبَّانيّ (إلَّا منْ رحمَ ربِّي)، الذي بيّنَه اللهُ لنا عنْ طريقِ جميعِ الرُّسلِ وفي جميعِ مجالاتِ الحياةِ... هذا المنهجُ هو بالأصلِ مستقى منْ الكتابِ المبينِ، ومنْ سنّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ...

تقامُ المعارضُ سنويًّا في جميعِ البلادِ العربيَّةِ منْ غيرِ استثناءٍ ومعَ ذلكَ نرى أنَّ ارتيادَ هذهِ المعارضِ بالنِّسبةِ لسكانِ المنطقةِ لا يتجاوزُ ١٠٪ منَ السُّكانِ ومنْ زارَ هذه المعارضَ لا يفكِّرُ ولا يسعى لشراءِ أوِ اقتناءِ كتابٍ منَ الكتبِ التي نشرتْ!!...

ومنَ المهمِّ الملفتِ عدمَ اقتناءِ كتبِ التَّربيةِ الخاصَّةِ بالتَّربيةِ الإسلاميَّةِ... والتَّقصيرُ سببُه ما آلتْ إليه هذه الأمّةُ "أمّةُ اقرأْ" منْ عدمِ القراءةِ أوْ حتَّى التَّعلّمِ الذي بالأصلِ هو فرضُ عينٍ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ...

خاصَّةً أنَّ هذا العلمَ يجبُ أنْ يأخذَ منْ أصولِه، والأهمُّ هو التَّلقِّي المباشرُ منْ عالمٍ يتميَّزُ بهذا العلمِ (علمُ التَّربيةِ) فيجمعُ بينَ (علمِ الدِّينِ وتزكيةِ النَّفسِ) ...

فهذا العلم بالأصلِ يجبُ أنْ يكونَ بإشرافِ عالمٍ تربويٍّ فالدِّينُ يؤخذُ بالنَّقلِ وليسَ بالعقلِ والنَّقلُ معناه أنْ يؤخذَ منَ المصادرِ الأساسيَّةِ منْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وسنَّةِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فتفسيرُ القرآنِ الكريمِ بالمأثورِ وليسَ بالرأيِ فلا نفسِّرُ آياتِ اللهِ عزَّ وجلَّ كما يحلو لنا... فمنْ خلالِ فترةِ التَّعليمِ كنتُ جاهدةً لتلقِّي العلمَ الشَّرعيَّ على أيدي مشايخَ لهمُ الَّسندُ المتَّصلُ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، خاصَّةً في علومِ الحديثِ والتربيةِ وكانَ لي بفضلِ اللهِ تعالى قراءةُ صحيحِ

البخاريّ وكتابِ منهاجِ القاصدين وغيرِها منَ الكتبِ التي ساعدتْني في وضعِ منهجيَّةٍ منْ صفِّ الحضانةِ إلى الصَّفِّ الثَّانويّ...

لكنْ حاليًّا لا أنصحُ بقراءةِ كتبِ الأصولِ إلَّا على يدِ علماءَ ربَّانيّين موثوقين في وقتِنا الحاضرِ...

أمَّا كقراءةٍ تساعدُ على التَّربيةِ فلي كتبي التي هي نتاجُ جهدٍ مبذولٍ من جهتي معَ لقاءِ العلماءِ والسَّفرِ إليهم ولقائِهم على أرضِ الواقعِ والأهمُّ إجازتي لوضعِ هذه المناهجِ وهذه القصصِ، وفقَ دراسةٍ لكتبِ علمائِنا قديمًا في التَّربيةِ وخاصَّةً في علمِ النّفسِ التّربويّ، واهتمُّوا بنفسيّةِ المربّين والمتعلّمين منه ما تجدُه عندَ ابنِ حمامةَ في "تذكرةِ السَّامعِ والمتكلِّمِ في أدبِ العالمِ والمتعلِّمِ"، ومنها كتابُ(أيُّها الولدُ) للإمامِ الغزاليّ معَ تنقيحِها منَ الشَّوائبِ، وهناكَ كتابُ "آدابُ المعلّمين" لابنِ سحنونَ الأندلسيّ وطبعًا كانَت ليَ المراجعُ التي استعنتُ بها في إعدادِ رسالةِ الماجستير بعنوانِ: "دورُ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ في تربيةِ النَّشئِ في ضوءِ العقيدةِ والقيمِ الإسلاميَّةِ الثَّابتةِ"[1]. وأطروحةُ الدُّكتوراةِ بعنوانِ: "القيمُ الأخلاقيَّةُ الواردةُ في كتبِ التَّربيةِ الإسلاميَّةِ (كتبُ المرحلةِ المتوسّطةِ منَ التَّعليمِ الأساسيّ)". وكلاهما يمكنُ للقارئِ إيجادُها عبرَ الإنترنتِ فيمكنُ لمنْ أرادَ فعلًا معرفةَ مراحلِ التَّربيةِ الصَّحيحةِ كما في الكتابِ والسُّنَّةِ دراسةَ هذه الكتبِ لتطبيقِها على أرضِ الواقعِ.

كما وأنصحُ بكتبِ الدُّكتورِ ماجدُ عرسانُ الكيلانيّ رحمَه اللهُ فكتبُه إثراءٌ للأمَّةِ الإسلاميَّةِ، وكانَ لي بفضلِ اللهِ تعالى اللقاءُ به عدَّةَ مرَّاتٍ قبلَ استضافتي أنا وزوجي في مدينةِ الشجرةِ لمدَّةِ عشرةِ أيَّامٍ، حيثُ تناقشْنا بالمنهجيَّةِ التي وضعتُها كما أُقيمتْ ندوةٌ أعدَّتْها جمعيةُ المحافظةِ على القرآنِ الكريمِ/ فرع الرمثا – مركزُ الشَّجرةِ القرآنيّ وعنوانُ النَّدوةِ: (الإضاءاتُ القرآنيَّةُ لتوجيهِ الأسرةِ في عصرِ العولمةِ)، وكان لي المحورُ الأوَّلُ بعنوانِ: (جوانبُ تاريخيَّةٌ وتربويَّةٌ مستقاةٌ منْ إخراجِ جيلِ صلاحِ الدّينِ الأيُّوبيّ)، خاصَّةً بعدَ معرفةِ الدُّكتورِ ماجد عرسان الكيلانيّ رحمَه اللهُ بدراسةِ كتابِ (هكذا ظهرَ جيلُ صلاحِ الدّينِ الأيُّوبيّ) وهكذا ظهرَ جيلُ صلاحِ الدّينِ الأيُّوبيّ وبناءً عليه وضعتُ المنهجيَّةَ بعنوانِ: (الخططُ التَّربويّةُ للأهدافِ التَّعليميَّةِ في مادَّةِ التَّربيةِ الإسلاميَّةِ من صفِّ الحضانةِ إلى الصَّفِّ الثَّاني الثَّانويّ) بإشرافِ الدُّكتورِ غسان منير سنُّو رحمَهُ اللهُ.

---

(١) لم أناقشها بسبب تكلفة المناقشة فقط ٥٠٠٠ آلاف يورو.

ومنْ تتبَّعَ (جوجل) سيجدُ جميعَ كتبِه (يمكنُ تحميلُها) كما وأوصي بكتبِ ابنِ القيِّمِ الجوزيَّةِ وخاصَّةً كتابُ "تحفةُ المودودِ بأحكامِ المولودِ"، وهذا الكتابُ فيه أحكامُ المولودِ المتعلِّقةُ به بعدَ ولادتِه ما دامَ صغيرًا... ففيه فوائدُ كثيرةٌ... وهو كتابٌ يصلحُ للمعاشِ والمعادِ ويحتاجُ إلى مضمونِه كلُّ من وُهِبَ الأولادَ[1]...

كما له كتبٌ قيِّمةٌ في تزكيةِ النَّفسِ لمنْ أرادَ الأنسَ معَ اللهِ...

مصادرُ مهمَّةٌ تعينُ الوالدين تربويًّا:

بما أنَّنا نريدُ أوَّلًا وقبلَ كلِّ شيءٍ الثِّقةَ التَّامَّةَ لهذه المرجعيَّاتِ، وكمْ مُلِئتْ قنواتُ التَّواصلِ الاجتماعيِّ حاليًّا بمثلِ هذه المرجعيَّات التي تساعدُ على حلِّ المشكلاتِ، لديَّ مرجعيَّةٌ ثقةٌ تربويَّةٌ يمكنُ مراجعتُه حاليًّا وهو (الدُّكتور عبدُ الرَّحمنِ ذاكر الهاشميِّ) لمنْ أرادَ الاستزادةَ في المعرفةِ فمحرِّكُ البحثِ(جوجل) كفيلٌ بإيصالِ جميعِ المعلوماتِ عنه وهي متوفِّرةٌ لمنْ أرادَ الاستشارةَ السَّريعةَ.

أمَّا تربويًّا ودينيًّا فيمكنُ التواصلُ معَ الشيخِ الدكتور صالح بنُ عبدِ اللهِ بن حمدٍ العصيميِّ العتيبيِّ.

(مهمٌّ جدًّا معرفةُ أنَّ قنواتِ الشَّعوذةِ ما يسمَّى بالتَّنميةِ البشريَّةِ، ما هي سوى قنواتٍ لبثِّ السُّمومِ، والأهمُّ معرفةُ هذه السُّمومِ للوقايةِ منها للأسرةِ ككلٍّ – رجاءً حارًّا معرفةُ هذه السُّمومِ فمنها ما هو شركٌ باللهِ – خاصَّةً علومُ الطَّاقةِ وما شابَهَا فمخطَّطُ أعداءِ اللهِ عزَّ وجلَّ هو سلبُ التَّوحيدِ الصَّحيحِ منْ قلوبِ المؤمنين لكي ينتصروا عليهم فصدقَتْ فيهم أحاديثُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والتي هي منْ علاماتِ السَّاعةِ: **"لتتَّبِعنَّ سنَنَ من قبلَكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتَّى لو سلكوا جُحْرَ ضبٍّ لسلكتموه"**؛ قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنَّصارى؟ قالَ: **"فمنْ"**[2].

---

(١) ابن القيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عثمان بن جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، جدة، ص٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: (٣٤٥٦)، أخرجه مسلم، حديث رقم: (٢٦٦٩).

أمَّا بالنِّسبةِ للمعلوماتِ ككلٍّ فهناكَ شبكتان: شبكةُ الألوكةِ – وقدْ نشرتْ كلَّ كتبي – وشبكةُ الدُّررِ السَّنيَّةِ، لمنْ أرادَ معرفةَ منهجِ اللهِ الحقِّ.

حكمُ الشَّرعِ حولَ مايلزمُ التَّربيةَ من وسائلَ(ثوابٌ، عقابٌ):

كما قلْنا سابقًا أنَّ الثَّوابتَ في التَّربيةِ الإسلاميَّةِ مستقاةٌ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وأنَّها صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، مهما تغيّرتْ ظواهرُ الحياةِ والمعيشةِ في ظلِّ التِّكنولوجيا الحديثةِ، فإنَّ الإسلامَ وضعَ أهدافًا متكاملةً للتَّطبيقِ والنَّجاحِ، ومنَ المنهجِ في التَّربيةِ الإسلاميَّةِ العقابُ وبخاصَّةٍ العقابُ التَّربويُّ، بعدَما اتَّخذَ الآباءُ أو المدرّسون جميعَ أنواعِ وسائلِ التَّربيةِ، فلمْ تؤثّرْ في الأولادِ القدوةُ الحسنةُ، ولا نفعتْ الموعظةُ، ولا الصَّبرُ على المتعلِّمِ بالتَّدرّجِ، هنا يكونُ العقابُ حتمًا لازمًا، وهدفُه إعادةُ الطِّفلِ إلى الصَّوابِ.

وقبلَ البدءِ بالحديثِ عنِ العقابِ والوسائلِ المتَّبعةِ والمفيدةِ للعقابِ، أودُّ فقطْ أنْ أنوّهَ أنَّ لكلِّ طفلٍ أوْ طالبٍ حالةٌ خاصَّةٌ فلا تنطبقُ هذهِ القواعدُ على كلِّ طفلٍ، إذنْ قبلَ البدءِ بمعرفةِ أثرِ العقابِ وأساليبِه، علينا أوَّلًا معرفةُ نفسيَّةِ كلِّ طفلٍ وما هي الحالةُ الاجتماعيَّةُ التي تحيطُ به – مهمٌّ جدًّا معرفةُ الحياةِ الأسريَّةِ التي يعيشُها كلُّ طفلٍ –والأهمُّ معرفةُ خصائصَ كلِّ مرحلةٍ عمريَّةٍ، لمعرفةِ العقابِ المناسبِ لكلِّ مرحلةٍ عمريَّةٍ، فالضربُ مثلًا لم يأمرْ به الإسلامُ قبلَ العشرِ سنواتٍ وهي المرحلةُ التي يكونُ التَّعليمُ فيها بالقدوةِ والموعظةِ، ففي وقتِنا الحاضرِ اجتهدَ التَّربويّون لبيانِ هذهِ الخصائصِ وإدراجِها في العمليَّةِ التَّربويَّةِ التَّعليميَّةِ خلالَ دراسةِ المعلِّمِ لهذهِ المراحلِ كمادَّةٍ علميَّةٍ بعنوانِ تربيةِ الطُّفولةِ المبكّرةِ وغيرِها منَ الموادِ المهمَّةِ في علمِ النَّفسِ التَّربويّ، لذا منَ الضَّروريّ دراسةُ خصائصِ مراحلِ الطُّفولة لدى المعلِّمِ والآباءِ.

أصلًا الأطفالُ حتَّى سنِّ البلوغِ لا حسابَ عليهم فالعقابُ فقطْ للتَّقويمِ، والتَّمييزِ بينَ الخطأِ والصَّوابِ. وبينَ معرفةِ القيمِ الأخلاقيَّةِ الممدوحةِ ونبذِ الأخلاقِ المذمومةِ، لأجلِ ذلك يجبُ أنْ نحدّدَ سببَ العقابِ وهلْ هو بسببِ هذهِ الآدابِ وتركِها أمْ بسببِ الأخلاقِ المذمومةِ؟!!

أمَّا ما جاءَ في العقابِ بالضَّربِ فقدْ جاءَ حديثٌ واضحٌ صريحٌ بتعليمِ الصَّبيِّ الصَّلاةَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمُ: "**مروا أولادَكم بالصَّلاةِ لسبعٍ واضربوهم عليها لعشرٍ، وفرّقوا**

بينَهم في المضاجعِ"[1]. ويحثُّ هذا الحديثُ الأهلَ بأنْ يأمروا أولادَهم بالصَّلاةِ ويحثُّوهم على فعلِها والصَّبرِ على فعلِها، ولا يضربُ الصَّبيُّ لتركِ الصَّلاةِ إلَّا إذا بلغَ عشرَ سنين، والأهمُّ أنَّه ضربٌ غيرُ مبرحٍ وعدمُ ضربِ الوجهِ لحديثِ رسولِ اللهِ صلَّ اللهُ عليه وسلَّمَ.

رواهُ مسلمُ في حديثٍ صحيحٍ عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "**إذا قاتلَ أحدُكم أخاهُ فليجتنبِ الوجهَ**...". فضربُ الطِّفلِ على الوجهِ له أضرارٌ نفسيَّةٌ تؤثِّرُ على تكوينِ شخصيَّةِ الطِّفلِ. لذا أوَّلًا علينا معرفةُ الهدفَ منَ العقابِ؟ ولماذا العقابُ؟ وعلى أيِّ أساسٍ نعاقبُ؟ وما أنواعُ العقابِ الفعَّالِ؟ وهنا ندرسُ هلِ الضَّربُ منْ أنواعِ العقابِ؟ وهل بالضَّربِ نصلُ إلى ما نريدُ منْ سلوكٍ حسنٍ؟

هناك محاضرةٌ خاصَّةٌ بهذا الموضوعِ بعنوانِ (محطَّاتٌ تربويَّةٌ تبيِّنُ أنواعَ العقابِ والسَّلبياتِ التي يتعرَّضُ لها الطِّفلُ حينَ ضربِه).

وهذا هو رابطُ المحاضرةِ لمنْ أرادتِ الاطِّلاعَ عليها.

https://www.youtube.com/watch?v=GSOH6wHolek

طرقُ جذبِ الأبناءِ نحوَ الآباءِ:

انتشرَ في أواسطِ العائلاتِ اليومَ تربيةٌ تتوقَّفُ على منْ يحبُّ الولدَ أكثرَ أمُّه أمْ أبوه، والأهمُّ من يشدُّ البساطَ لجهتِه ناسفين بذلك كلَّ قواعدِ التَّربيةِ التي تبنى بالأساسِ على حبِّ الزَّوجين كلاهما لأولادِهما حبًّا غيرَ مشروطٍ، والأهمُّ العدلُ بينَ الأولادِ فلا يميِّزُ أوْ تميِّزُ بينَ ولدٍ وولدٍ أوْ بنتٍ وأختِها.

تحدَّثْنا في بدايةِ لقائِنا عنْ أهمِّيَّةِ العلاقةِ الزوجيَّةِ المبنيَّةِ على الحبِّ والودِّ والرَّحمةِ، وتحدَّثْنا عنِ اتِّفاقِ الزَّوجين على قواعدَ ثابتةٍ لكلاهما لتربيةِ الأطفالِ، والأهمُّ منْ ذلكَ اتِّفاقِهما سويًّا على منهجٍ موحّدٍ في التَّربيةِ فما هو مسموحٌ منْ قِبَلِ الأبِ أيضًا مسموحٌ به من قبلِ الأمِّ يجبُ على كليهما أنْ يتَّفقا على هذا المنهجِ، حتَّى إنْ مالَ الأطفالُ لأحدِ الوالدين يصحِّحا العلاقةَ سويًّا مع العلمِ حثَّ

(١) رواه أحمد (٢/١٨٠ – ١٨٧)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: (٤٩٥)، وصححه الحاكم في المستدرك (١/١٩٧) وحسّن إسناده النووي في رياض الصالحين.

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على حسنِ الصُّحبةِ للأمِّ فجعلَها ثلاثَ مرَّاتٍ لأمِّك والرَّابعةَ لأبيك "**منْ أحقُّ النَّاسَ بحسنِ صحبتي**"، فهذا الحديثُ بيّنَ فضلَ الأمِّ ومنزلتِها، وأنَّ الأمَّ لها من الحقِّ في هذا الجانبِ وهو حسنُ الصُّحبةِ ثلاثةُ أضعافٍ ما للأبِ، والمقصودُ بحسنِ الصُّحبةِ: حسنُ المعاشرةِ، والملاطفةُ والإحسانُ والبرُّ، وذلكَ أنَّ الأمَّ تحمَّلَتِ الحملَ وآلامَ الولادةِ وكذلكَ أيضًا الرِّضاعَ والحضانةَ، وعلينا معرفةُ معاني هذا الحديثِ حتَّى لا يختلطَ على الجميعِ أنَّ برَّ الأمِّ مقدَّمٌ على تربيةِ الأبِ، لذا وضعَ الشَّرعُ أيضًا لنا القواعدَ في التَّربيةِ ولمنْ يكونُ تدبيرُ أمورِ العائلةِ، فالأبُ هو الوليُّ هنا، فيجبُ معرفةُ أهمِّيَّةَ التَّفاهمِ على الأمورِ الحياتيّةِ بينَ الوالدين داخلَ الغرفةِ، ليكونَ القرارُ النِّهائيُّ للأبِ برضاهما، فمثلُ هذهِ الأمورِ مهمٌّ جدًّا أنْ يحصلَ بينَهما التَّفاهمُ والإقناعُ لتدبيرِ أمورِ الطِّفلِ. أمَّا منْ حيثُ المعاشرةِ والمخالطةِ وحسنِ الصُّحبةِ فهيَ للأمِّ، والأهمُّ أنْ يعلّمَ الأبُ الأبناءَ احترامَ الوالدةِ وطاعتِها وعدمَ رفعِ الصَّوتِ وعصيانِها...

كلُّ هذهِ الأمورِ التربّويّةِ هي مقدّمةٌ لكيفيَّةِ التَّعاملِ الصَّحيحِ لاستمالةِ الأبناءِ التي يجبُ أنْ تكونَ للاثنان سويًّا الأمُّ والأبُ، وأنْ يكونَ الوالدان صديقين لأولادِهما معَ عدمِ التَّمييزِ بينَ ولدٍ وولدٍ حتَّى لوْ كانَ الولدُ سببًا لحبِّ الوالدين، فمنهم منْ يكونُ هيّنًا ومنهم منْ يكونُ حنونًا، ومنهم من يكونُ مطيعًا فعلى الوالدين عدمُ التَّفرقةِ في المعاملةِ بينَهم وأنْ يعاملانهم بالعدلِ، كما أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "**اعدلوا بينَ أولادِكم في النِّحلِ كما تحبُّونَ أنْ يعدلوا بينَكم في البرِّ واللُّطفِ**" رواهُ الطَّبرانيُّ، والنِّحلُ: هو ما ينحلُه الوالدُ لولدِه منَ العطايا والهدايا.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

د. شيرين لبيب خورشيد

بيروت في ٢٠٢١/١٠/٢٣